مدارس الإقراء في الجزائر"تاريخها وأعلامها"

د.بدر الدّين عمّاري
كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران 01

1. توطئة:

إنّ العنايـــة بالقرآن الكريـــم فـــرض على كل مسلم ومسلمة، وحفاظاً على النـــص القرآني وجبت العناية برسم المصحف وخطه وتلاوته حتى يوفق المسلمون إلى تلاوة القرآن كما أمر الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل:4]، وكما تواتر عن النبي ، وصحابته رواية وأداء ورسما.و قد حفظ الله تعالى كتابه بأن هيأ له رجالاً نذروا حياتهم لخدمة كتاب الله تعالى، من حيث لفظه وكتابته ورسمه وحفظه وتجويده، وهو ما أنبأ به تعالى في محكم تنزيله، فقال ﴿ إِنا نَحْنُ نزَّلـــنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لهُ لـــَحَافِظـــُونَ﴾[الحجر:9].

وقد قامت الأمة الإسلامية على مقتضى سنة الله في حفظ كتابه؛ بنسخ القرآن وطباعته، وتلقينه بوسائل عدة؛ وانبرى العلماء لبيان معانيه، وأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه ومكيِّه ومدنيِّه؛ وأوجه قراءته وغيرها...

فالتوفر على خدمة القرآن الكريم لم تنقطع منذ أنزله الله تعالى على نبيه طوال القرون التي مرّت على إنزاله، وهذا التوفر لم ينقطع إلى اليوم، وبعد اليوم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ولقد ضربت الأمة الجزائرية بسهمها في خدمة القرآن؛ حفظا في الصدور وكتابة في السطور، رسما وضبطا؛تجويدا وتحقيقاً؛ قراءة وتفسيرا...،وإنّ الناظر في كتب التاريخ وتراجم الأعلام وفهارس المخطوطات ليجد جملةمن العناوين والكتب المتعلّقة بالقراءات القرآنية وعلومها لمؤلّفين جزائريين؛ ممّا يدلّ على اهتمام أهل الجزائر بالقرآن الكريم وعلومه تدريساً وتأليفاً...، ولله درّ القائل حين يقول:

إنّ الجزائرَ والتاريـــخُ ينبئكُم كانت بكلّ حليّ العزّ تزدانُ
لبّت نداء إلهِ الخلقِ طائعةً وقام منها لنشر الدّين فرسانُ
فاسأل مساجدها واسأل معاهدها وأسأل عن الحَبْر تنبكم تلمسان
واسأل بجايةَ واسأل كلّ زاوية فيها يُلقّنُ للصبيان قرآن

ولعلّ الناظر في التراث العلمي المتعلّق بعلم القراءات بالذات يلحظ أن الجزائريين الذين تناولوا موضوع القراءات ورسم القرآن الكريم قلة نسبيا[1]، مقارنة مع العلوم الأخرى كالفقه والتفسير[2] ...؛ إلاّ أنّ الملفت للنظر فعلاً هو أنّ الجزائريين قصدوا إلى تدريس القراءات أكثر من قصدهم إلى التأليف فيها، حيث اهتمّ علماء الجزائر بعلم القراءات، من خلال تدريسه في مساجدهم ومدارسهم وزواياهم، إلى أن بلغ هذا العلم ذروته من خلال المدارس المتخصصة في القراءات: كمدرسة زواوة، وتلمسان، فمدرسة القلعة...

على أنّ هذا القصد الأصلي لا ينفي وجود مؤلفات في فنّ القراءات ألفها علماء جهابذة، وكانت محل ثقة عند الجميع، وقد تداولها المقرئون شرقا وغربا، وحتى ينجلي المقصود ببيان مدى عناية علماء الجزائر من خلال هذه المدارس وأعلامها؛ تمّ تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بداية الإقراء بالجزائر.

المبحث الثاني: مدرسة زواوة وأعلامها.

المبحث الثالث: مدرسة تلمسان وأعلامها.

2. المبحث الأوّل: بداية الإقراء بالجزائر

لقد اشتهر القراء بالجزائر منذ مطلع المائة الرابعة من الهجرة وكان من جِلَّةِ القراء بها أبو الحسن بن القلال الجزائري علي بن عبد الله[3]، وعبد الله بن محمد الأندلسي المعروف بمقرون نزيل بجاية ثم وهران ثم مالقة ثم قرطبة (ت 378 ه)[4] وأبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري (ت 465 ه) [5]صاحب الكامل، وأحمد بن محمد أبو العباس المسيلي(ت540ه) و أبو زكرياء يحي بن أبي علي المعروف بالزواوي من أهل بجاية(ت611ه) و أبو محمد الزواوي عبد السلام

بن علي بن عمر بن سيد الناس (ت681ه) وغيرهم[6] ؛ مما يدل دلالة واضحة على عناية قراء المغرب الأوسط بالتحمل والأداء.

قلت: وقبل الشروع في بيان أشهر مدارس الإقراء وأعلامها الذين حملوهم لواء فنّ القراءات بالجزائر المحروسة؛ لا بدّ من تخصيصٍ يقتضي التشريف لعلم أعلامها وشيخ قرّائها؛ الذي طرق الدنيا في طلب هذا العلم حتى ساد النّاس في زمانه؛ هو الإمام أبو القاسم الهذلي البسكري...

يحدثنا الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله عن إمام القراء في القرن الخامس الهجري، وهو أبو القاسم الهذلي صاحب كتاب "الكامل في القراءات" فيقول في ترجمته:" أبو القاسم الهذلي :المقرئ الجوّال، أحدُ من طَرَق الدنيا في طلب القراءات، واسمه يوسف بن علي بن جُبارة المغربي البسكري، وبَسكرة: بُليدة بالمغرب، رحل من أقصى المغرب إلى بلاد الترك، ولد في حدود سنة 390ه، ونشأ في "بسكرة " بالجزائر، وغادرها إلى القيروان بتونس، ودخل الأندلس فقرأ على أئمة القراء فيها، وتضلع في علوم العربية، ودخل المغرب الأقصى وقرأ بفاس على بعض قرائها لهذا العهد، ثم اتجه نحو المشرق فقرأ في طريقه بقابس من أرض تونس وطرابلس من البلاد الليبية وبغيرهما من تلك البلاد"[7].

أما رحلته إلى المشرق فتبتدئ سنة 425ه، وهو في عقده الرابع، فدرس بمصر على مشايخ العلم والقراءة، ثم رحل منها إلى الحجاز، فحج، وقرأ بالحرم المكي، ثم خرج إلى الشام ثم العراق وبلاد العجم، قال أبو حيان: وجمع بين طرق المشرق والمغرب في الروايات.

وقال عنه الحافظ ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء: "وطاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ، قال في كتابه "الكامل :"فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة بلد بأفغانستان يميناً وشمالاً، وجبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته[8]".

ثم قال عن كتاب "الكامل" المذكور :وألّفت هذا الكتاب فجعلته جامعاً للطرق المتلوة والقراءات المعروفة، ونسخت به مصنفاتي كالوجيز والهادي". قال ابن الجزري" :وكذا ترى همم السادات في الطلب"[9].

ولقد قضى الإمام الهذلي في رحلة الطلب هذه أزيد من ثلاثين عاما، إلى أن انتهى به المطاف إلى مدينة نيسابور ببلاد فارس (إيران)، وكانت يومئذ حافلة بالعلم والعلماء، وفيها "المدرسة النظامية" التي أنشأها نظام الدين وكانت في أوج قوّتها وازدهارها، فقرّره "نظام الدين" المذكور أستاذا للقراءات بها، فقعد بها للتدريس سنين، وكان أيضا إلى جانب تدريس القراءات يدرّس العربية وعلومها، وكان كما وصفه الذهبي: "مقدّما في النحو والصرف وعلل القراءات[10]".

وهكذا يقف الإمام الهذلي مثالا فذّا لعلوّ الهمّة، وينتصب في ميدان القراءة والإقراء طودا شامخا منقطع النظير. ولمـــّا ذكر الذهبي شيوخه وسمّى منهم جماعة كبيرة قال: "وإنّما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين؛ لتعلم كيف كانت همّة الفضلاء في طلب العلم[11]".

وبعد هذا البيان المقتضب لسيرة إمام القراء بالجزائر؛ آن أوان الشروع في المقصود من خلال ذكر أشهر مدارس الإقراء في الجزائر ومن كان لهم الفضل في تأصيل هذا العلم ونشره في بلادنا :

3. المبحث الثاني: مدرسة زواوة وأعلامها

اشتهرت الجزائر كبقية البلاد الإسلامية بمقارئها ومدارسها المتخصصة في القراءات، وكان يقصدها الطلاب حتى من الأقطار المجاورة كتونس والمغرب الأقصى وغيرها من المناطق، ومّما ساعد على ترسيخ هذه المدارس وانتشارها هو أنّ الجزائريين–كما قلنا– قصدوا إلى تدريس القراءات أكثر من قصدهم إلى التأليف فيها، و كانت بعض المراكز في أنحاء الجزائر قد عرفت بالحذق في هذا الاختصاص مثل زواوة منطقة القبائل شرق الجزائر العاصمة؛ حتى أنّـــها كانت مقصد العلماء و طلبة العلم للإتقان و البراعة التي اشتهر بها قراؤها، وقد عرفت زاوية عبد الرحمان اليلولي بزواوة بأنها معهد متخصص في تعليم القرآن الكريم وتفسيره،

وتدريس القراءات بالروايات العشر المشهورة؛ "حتى أن هيئتها المشرفة ومنذ عهد المؤسس لم تسمح بتدريس الفقه بحجة أن هذا العلم يمكن أن يشكل منافساً خطيراً على حساب حفظ القرآن الكريم والروايات[12]" .

قلت: ومن عجائب ما يروى عن شهرة هذه المدرسة وتعلّق مقاصد العلماء بها؛ ما ذكره أهل التراجم عن الشيخ محمد بن مزيان التواتي المغربي[13] وهو شيخ من شيوخ الفكُّون الذين يعتز بهم؛ أنه لمـــا أراد أن يرتحل إلى زواوة لقراءة السبع، اجتمع إليه خواص البلد لإمساكه، وقالوا له: عندك ما يكفيك من العلم وهذا فرض كفاية، وانشغالك بتعليم أولاد المسلمين ربما يكون أرجح، فأجاب عن نفسه: بأنه فرض كفايـــة، تعيـــّن عليّ طلبه لما أحسست فـــي نفسي من القابلية ورأيت غيري معرضاً عن أخذه وعدم القيام به، فترك، وارتحل إلى زواوة لتعلم القراءات على يد شيخه عبد الله أبي القاسم[14].

فهذا الشيخ محمد بن مزيان التواتي، الذي ورد على قسنطينة من المغرب، وبها انتشر علمه وأقبلت عليه الطلبة، وانتفعوا به وكثر بحثه، وعلت عارضته وحصلت له مشاركة في الأصول والمنطق والبيان، حتى أصبح يلقب بسيبويه زمانه، ومع ذلك لم يستغن عن الذهاب إلى زواوة لتعلم القراءات السبع. فقد أخبر عنه تلميذه الفكون أنه بقي في زواوة حوالي عام ثم عاد "وقد حصلت له ملكة عظيمة ومعرفة تامة لعلم القراءات[15]".

وكانت القراءات بمنطقة زواوة تدرس في الألواح كما يدرس القرآن الكريم..، فقد ذكر عبد الكريم الفكون بأنّه زار يوما شيخه التواتي بسكناه، فخرج إليه وبيده لوح به ما يزيد عن الخمسين بيتا من الشاطبية الكبرى[16] .

ويشهد علماء التاريخ أنّ بجاية قد حازت قصب السبق في هذا المجال مستفيدة من تجربة ممّن وفد إليها من القراء القلعيين والأندلسيين أمثال عبد الله بن محمّد القلعي المعروف بابن الخراط؛ وابنه أبي العباس الذي لقّب بـــ:"أبي عمرو عصره".. ومن الأندلسيين: علي بن عبد الله النميري المعروف بالششتري؛ والمقرئ

أبي عبد الله الشاطبي..، وغيرهم ممّن أسهم في ازدهار علم القراءات سواء بالتدريس أو التأليف...

وهذا الآن بيان لأهمّ علماء ومشايخ الإقراء في مدرسة زواوة:

أوّلاً:عمر بن محمّد بن مخلوف التدلسي(626ه/1226م):

رحل إلى الأندلس واستوطن بلنسية؛ وأخذ عن عدد من علمائها كأبي عبد الله بن نوح؛ وأبي علي الزلال وعبد الحقّ الزهرني؛ وبعد أن أكمل تحصيله العلمي عاد إلى بجاية وكانت له حلقة عظيمة لطلبة القراءات في جامعها الأعظم[17].

ثانياً: أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (ت681ه).

هو عبد السلام بن علي بن عمر بن سيّد النّاس: أبو محمّد المالكي الزواوي: شيخ مشايخ الإقراء بدمشق إمام بارع محقّق فقيه ثقة؛ ولد ببجاية وقدم مصر وهو شاب فقرأ بالإسكندرية على أبي القاسم بن عيسى بالروايات؛ وبمصر بالعنوان والتبصرة على أبي العزّ محمّد بن عبد الخالق؛ثم قدم دمشق سنة:617ه..،فقرأ القراءات على شيخها أبي الحسن السخاوي؛ وباشر مدرسة الإقراء بالتربة الصالحية بعد أبي الفتح؛ مع وجود أبي شامة فانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وهو أوّل من ولي قضاء المالكية بدمشق لّما صارت القضاة أربعة على كره منه؛ فباشره تسع سنين؛ ولّما مات رفيقه القاضي الحنفي بن عطاء عزل نفسه[18]...

وقرأ عليه: إبراهيم بن فلاح الإسكندري؛ والشيخ الحسين بن يوسف أكفري؛ والتقي أبو بكر الموصلي والشيخ محمّد المصري والشيخ أحمد الجزان وأكثر عنه الشهاب أحمد بن النّحاس الحنفي...، ومحمّد بن عبد العزيز البياني وألّف كتاباً في عدد الآي؛ وكتاب التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات". قال ابن الجزري:" أخبرني به سماعاً شيخنا عبد الوهاب بن السلار عن الحراني سماعا عنه لذلك[19]". توفي في شهر رجب سنة:681ه؛ ومشى في جنازته نائب الشام لاجين؛ وازدحم الخلق على نعشه ودفن بباب الصغير.

ثالثاً: أبو العباس أحمد بن محمّد الزواوي(750ه/1350م):

إمام وشيخ القراء في عصره؛ إليه انتهت رياسة القراءات بالمغرب[20]. درس على شيوخ بلده ثمّ رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها منهم إبراهيم أحمد الغافقي وسليمان بن أحمد وأبي مروان الشريشي[21]..، وبعد أن أكمل دراسته آثر البقاء وانتصب للتدريس فانهال عليه طلبة العلم وأطبقت شهرته الآفاق ونال حظوة لدى السلطان أبي الحسن المريني بأن جعله من خواص مجلسه ومربياً لأبنائه؛ قال فيه العلامة المالكي ابن مرزوق العجيسي التلمساني(781ه/1380م):" لم أر في المشرق والمغرب نظيراً له؛ ولا رأيت من رأى مثله يسلب العقول ويذكر بالله؛ لا تملك النفوس ولا الشؤون عن سماعه؛ هذا مع اتقان الضبط وإحكام الروايات وعلوّ السند...مع العناية في إخراج الحروف من مخارجها وتوفية أدوات القراءة؛ فلا يخفى على المستمع حرف مع الإحسان البليغ؛ والله ما رأيت قبله ولا بعده في قطر من الأقطار مثله[22]".

وقال فيه ابن خلدون:" كان إماماً في القراءات وصاحب ملكة فيها لا يجارى؛ وله مع ذلك صوت من مزامير آل داوود[23]".

رابعاً: أبو القاسم الغبريني الزواوي:

تميّز العلامة الغبريني بنشاطه الدؤوب في تدريس القراءات التي حذقها من مجالسته لعلماء بجاية ومصر من أمثال ابن غريون وناصر الدّين المشذالي وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي ومحمّد بن علي بن دقيق العيد وغيرهم...، وقد انتهى به المطاف بعد رحلته العلمية إلى الاستقرار بتونس التي تصدّر بها للتدريس، وقد أشادت المصادر التاريخية بدوره في ازدهار علم القراءات؛ وذلك ليس بعدد من تخرّج على يديه من الطلبة فحسب...بل بما أسهم به من أبحاث ودراسات؛ حتى صُنّف كأحد كبار المقرئين؛ وعزّ وجود مثله في زمانه على حدّ تعبير أحد الفقهاء[24].

خامساً: المقرئ الشهير الشيخ علي الزواوي:

وهو أحد مشايخ عبد الرحمان الثعالبي، وقد اشتهر بالجزائر العاصمة، وأطلق اسمه على حي من أحياء العاصمة، خارج باب عزون، " قرب المركز الثقافي الإسلامي، التابع لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وقد احتفظ لنا التاريخ بتأليف

من تآليفه العديدة في القراءات .وهو بالضبط في:"الوقف"[25]. ومجمل القول فإنّ الإقراء والقراءات قد حظيا باهتمام عظيم من علماء زواوة؛ يعكسه دورهم الإيجابي وجهودهم المعتبرة في تدريسه والإشراف على تكوين جيل من القراء المغاربة ممّن ازدانت بهم مجالس الإقراء في مختلف الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط خاصّة؛ ثمّ المغرب الكبير عامّة.

4. المبحث الثالث: مدرسة تلمسان وأعلامها:

تعتبر مدينة تلمسان[26] حماها الله تعالى–مركزًا من المراكز التعليمية التي كان لها الأثر الواضح في خدمة القرآن الكريم وعلومه عامّة؛ وفنّ القراءات خاصّة..، وذلك من خلال المعاهد والدور التي شيّدها الزيانيون والمرينيون، وقد وصفها يحي ابن خلدون بقوله:" مدينة المعاهد الكريمة[27]". ولعلّ من أشهر تلك المدارس :المدرسة التاشفينية :التي بناها عبد الرحمن أبو تاشفين بجانب المسجد الأعظم[28]، والمدرسة اليعقوبية التي أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني[29] .فهذه المدارس والدور احتضنت فنون العلم والمعرفة ابتداء بأصل العلوم والفنون ألا وهو القرآن الكريم.ومما زاد في تعزيز الحياة الفكرية وانتشار العلماء والعناية بالقرآن الكريم؛ اهتمام الأمراء بإنشاء المساجد والزوايا القرآنية التي كانت خير دليل على الازدهار العلمي بتلمسان، كمسجد تلمسان الكبير، وجامع أغادير الأعظم، وزاوية أبي عبد الله التميمي[30]. وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري[31].

وقد وصف الرحالة القلصادي (ت891ه) مدينة تلمسان بقوله:" وأدركت فيها الكثير من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجدّ والاجتهاد فيه مرتقية[32]".

وقد تواصلت الزيارات التي كان يقوم بها العلماء لتلمسان من المغرب خاصة، ومن الأندلس والمشرق الإسلامي نظراً لشدة عنايتهم بعلوم القرآن، وفي مقدمتها القراءات ورسم المصاحف، وفي البستان إشارات إلى بعض العلماء الذين اشتهروا بتدريس القراءات وحذقها ؛ من ذلك ما رواه ابن مريم من أنّ محمد الحاج

المناوي قد تصدر للتدريس في عدة علوم، ولكنه مهر خصوصا في القراءات[33]. وكان للعلامة أبي الحسن علي الأنصاري المتوفى شهيدا بالطاعون عام 1054هـ، درس في القراءات بتلمسان، وكان يشرح فيه ابن بري، وقد ترك مؤلفا في شرح "الدرر اللوامع" لأبي الحسن ابن بري[34]. وأعظم درس في تلمسان في القراءات كان يشرف عليه محمد بن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842هـ، وقد كان يشرح فيه "الشاطبيتين" تفقها، و"ابن بري" وقد ترك تأليفا تحت عنوان"أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية"[35].

وهذا الآن عرض لأهمّ مشايخ الإقراء بمدرسة تلمسان:

أوّلاً –أبو علي الحسن بن عبدالله بن حسن الكاتب الأشيري: (ت بعد569 ه). أديب كاتب شاعر عارف بالقراءات واللغة والغريب[36].

ثانياً: –أبو الحسن علي بن عبدالكريم التلمساني:

مقرئ من أهل تلمسان، قال عنه ابن الجزري :أستاذ مصدَّر أخذ القراءات عن فتح بن عبدالله المرادي صاحب ابن هذيل، وقرأعليه الحافظ أبو الحسن علي بن محمَّد التلمساني المعروف بابن الخضار[37] .

ثالثاً: –أبو الحسن علي بن الخضار التلمساني(ت 677 ه)

إمام مقرئ، قرأ بها على علي بن عبد الكريم التلمساني وانتقل إلى سبتة فأقرأ بها، وصفه الذهبي بإحكام القراءات وحفظها [38] .

رابعاً: –أبو علي الحسن بن عبدالله بن ويحيان الراشدي التلمساني :

من كبار المقْرئين في عصره ، وأعلمهم بمواضع الوقْف من الآيات، ولد بتلمسان ونشأ بها ثمَّ رحل إلى مصر وتوفي بها، قال ابن الجزري :إمام محقّق عارف، كان عارفًا بالقصيد بصيرًا بالأسانيد، وقال الذَّهبي :كان ثقة مأمونًا [39] .

خامساً: محمد ابن مرزوق الحفيد: (842هـ/1439م)

ولد في تلمسان سنة 766هـ/1365م، وتوفي في تلمسان سنة 842هـ/1439م، نعته المؤرخون بأنه "الفقيه، المجتهد الأبرع، الأصولي، المفسّر،

المحدث الحافظ، المسند الراوية، الأستاذ المقرئ المجوّد، النحوي البياني العروضي، الصوفي المسلك[40].

من أشهر تلاميذه أبو يحيى الشريف التلمساني، المازوني، القلصادي، التنسي، كلهم قرأوا عليه جملة من العلوم والكتب، ومن بينها قصيدة الشاطبي في القراءات وقد ذكر ابن مريم في البستان أن ابن مرزوق الحفيد قد ألف عدداً كبيراً من الأعمال من بينها "أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية"[41].

سادساً: محمد بن عبد الله التنسي: (889هـ/1494م)

ولد بمدينة تنس...،تتلمذ أوّلا على يد والده عبد الجليل حيث حفظ على يديه القرآن الكريم وأخذ عنه علوم العربية وآدابها والحديث الشريف؛ثمّ انتقل بعدها إلى حاضرة الزيانيين مدينة تلمسان حيث قرأ التفسير والقراءات والحديث عن علماء أجلاء منهم ابن مرزوق الحفيد قصيدة الشاطبي في القراءات[42]، وأبي أسحاق إبراهيم التازي؛ وأبي الفضل بن الإمام؛ وقاسم بن سعيد العقباني؛ ممّن كانت لهم مشاركة في العلوم العقلية والنقلية[43].

اشتغل بالتعليم والإفتاء توفي سنـــــة 889هـ/1494م، وقد ترك عدة مؤلفات في مختلف الفنون. وقد ساهم محمد التنسي في التأليف في علم القراءات بمؤلف تحت عنوان" :الطراز في شرح الخراز[44]"، وهو شرح على "مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن" ، وهو أرجوزة في ضبط رسم القرآن الكريم، وما قام بشرحه محمد التنسي هو قسم من أرجوزة طويلة خصص منها صاحبها الخراز 454 بيتا للرسم، والباقي وهو 154 بيتا للضبط، وقد شرح التنسي كما يدل على ذلك عنوان تأليفه، القسم الخاص بالضبط وقد استهل التنسي شرحه بالباعث على هذا التأليف، حيث يذكر أنه رأى من تناول نظم الشريشي المعروف بالخراز، إما اختصره اختصارا مخلا، وإما أطال فيه إطالة مملة، لذلك عزم هو على وضع شرح على نظم الخراز يكون وسطا بين الاختصار والإسهاب ويكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبه[45].

سابعاً:– أحمد بن ثابت التلمساني:

ومن المؤلفين في القراءات أيضاً، أحمد بن ثابت المتوفى في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وقد درس على يد شيخه محمد بن توزينت التلمساني، وهو من مشاهير القراء، وقد تخرج على يده العديد من التلاميذ، كما ألف تقييدا في القراءات، وهو في حكم المفقود الآن، ذكره تلميذه أحمد بن ثابت، ونوّه به. وقد ألف أحمد بن ثابت هذا رسالة في القراءات، لا تزال مخطوطة بالمكتبة الوطنية، وقد سماها: "الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء"[46]. اعتمد فيها على المؤلفين السابقين في هذا العلم أمثال الشاطبي وابن الجزري وغيرهم كما ألف أحمد ابن ثابت التلمساني أيضا رسالة في علم القراءات هي عبارة عن منظومة شعرية مطلعها :

إذا أردت الختـــم للمكـــــي من الضحى يـــروى عن النبي

كما قام بشرح هذه الأبيات تلبية لمن طلب منه ذلك، في رسالة مبتورة، لا تزال مخطوطة بالمكتبة الوطنية إلى يومنا هذا[47].

5. خاتمة

و في الختام، فإنّ التاريخ قد احتفظ لنا بتآليف عديدة في فنّ القراءات، ألفها علماء جهابذة، كتب لتآليفهم الخلود، فلا تزال مخطوطاتهم النادرة موجودة في الخزانات العامة والخاصة تنتظر من ينقذها من الضياع والتلف. فنرجو من الجهات المعنية أن تسعى سعيا حثيثا من أجل جمع هذه المخطوطات الجزائرية المتخصصة في فن القراءات، من مختلف المكتبات في العالم، وتعمل على تحقيقها وطبعها ونشرها، حتى تتم الاستفادة منها. والله ولي التوفيق .

6. الهوامش:

(1) يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله:" ومن هذه العلوم علم القراءات ورسم القرآن؛ والجزائريون الذين تناولوا هذا الموضوع قلّة نسبياً". ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.ط:01.ت:1998م.دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان.(120/1).

(2) ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ التنقيب عن العلماء والكتب التي تناولت موضوع القراءات يكتسي بعض الصعوبة؛ وذلك بسبب ضياع التراث العلمي الجزائري في العهد الاستعماري؛ وكذا تفرّق المؤلفات والمخطوطات شرقاً وغرباً؛ بالإضافة إلى قلّة الدراسات التي تهتمّ بهذا الموضوع في المغرب الإسلامي قياساً بنظيراتها في المشرق الإسلامي. ينظر هنا:الوافي إبراهيم. لدراسات القرآنية بالمغرب خلال القرن الرابع عشر الهجري. ص:(10).الماحي قندوز. جهود علماء تلمسان في خدمة القرآن وعلومه. مجلة الإبصار.ع:1. ت :2013م .ص :(124).

(3) ابن الجزري:غاية النهاية في طبقات القراء.(552/1).

(4) غاية النهاية.(456/1).

(5) نفس المصدر.(392/2).

(6) الغبريني .عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص:(61).

(7) ينظر: الحافظ شمس الدّين الذهبي. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. ص:(265).

(8) ينظر: ابن الجزري:غاية النهاية في طبقات القراء. (392/2).

(9) نفس المصدر.(393/2).وينظر: النشر في القراءات العشر. ص:(91-93).

(10) ينظر: الحافظ شمس الدّين الذهبي. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. ص:(258).

(11) نفس المصدر.ص:(258).

(12) ينظر: محمد ميمون. زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي. ص:(41).

(13) ترجم له تلميذه عبد الكريم الفكون في (منشور الهداية) و قد توفي التواتي بالطاعون في باجة بتونس سنة 1031هـ.ينظر: عبد الكريم الفكون. منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية. ص:(58).

(14) ينظر: الفكون. المرجع السابق. ص:(58).

(15) عبد الكريم الفكون، مرجع سابق، ص:(58).أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي.(2/21–23).

(16) قال عنه في كتابه" منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية":كان– رحمه الله– من جملة الحفاظ، قصدته يوما لدار سكناه، فخرج إليّ وبيده لوح به ما يزيد على الخمسين بيتاً من "الشاطبية الكبرى"... وكان ــ رحمه الله ــ يثني على شيخه المذكور ، يقصد أبا محمد عبد العزيز الحراز فقيه ونحوي مغربي لامع في علم القراءات" ص:(58).

(17) المراكشي: محمّد بن محمّد الأنصاري. الذيل والتكملة. ت:محمّد بن شريفة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.ت:1984م.ص :(239).

(18) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (2/ 22–23).

(19) ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء.ط:3.دار الكتب العلمية بيروت لبنان.(3/263).

(20) ابن خلدون: العبر.(7/470).التنبكتي: نيل الابتهاج. ص:(68).

(21) ينظر: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء.(4/125).

(22) ابن مرزوق التلمساني. .المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن. ص:(269).

(23) 23– ينظر: ابن خلدون. العبر.(7/470).

(24) 24– عبد الوهاب بن منصور: أعلام من المغرب العربي. المطبعة الملكية. الرباط؛ المملكة المغربية.ت:1979م.ص:(130).

(25) ينظر: المهدي بوعبدلي. اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات. رسالة المسجد. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. ع:08. محرّم:1425ه/2004م.ص:(07).

(26) بكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها، وكسر اللام وسكون الميم وفتح السين المهملة، وفي آخرها نون،.. وهي قاعدة المغرب الأوسط، وحدّ المغرب الأوسط من وادٍ يسمى (مجمعًا)...،ومدينة تلمسان مدينة عظيمة، قديمة فيها آثار للأُولِ كثيرة، تدل على أنّها كانت دا ر مملكة لأمم سالفةٍ،... وكانت تلمسان دار مملكة زَناتة..، وحواليها قبائل كثيرة من البربر، انظر:الروض المعطار:ص :(135).

(27) ينظر يحي بن خلدون:بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد .(1/86).

(28) عبد الرحمان الجيلالي. تاريخ الجزائر العام.(2/332).

(29) تاريخ الجزائر العام.(2/232).

(30) نفس المصدر.(2/336).

(31) ينظر: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر. ص:(213).

(32) ينظر: القلصادي. رحلة القلصادي. ص:(95).

(33) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (2/ 22–23).

(34) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص:(74 –75).

(35) 35– المرجع السابق ص: (136).

(36) 36– التكملة لابن الأبار:(1 / 270).نقلا عن معجم أعلام الجزائر :ص:(63)

(37) 37– غاية النهاية:(1 / 551)؛ نقلا عن معجم أعلام الجزائر :ص:(115).

(38) 38– غاية النهاية(1 / 579) .نقلا عن معجم أعلام الجزائر :ص:(119)، باقة السوسان :ص:(422).

(39) معجم أعلام الجزائر :ص:(64).

(40) محمد بن عبد الجليل التنسي، الدرّ والعقيان في تاريخ ملوك بني زيان. ص:(14–15).

(41) ابن مريم. البستان. ص:(202–203).

(42) محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ص:(69).

(43) صالح الفلاني .قطف الثمر.(111/1).

(44) ابن مريم. البستان في ذكر أولياء تلمسان. ص:(248–249).

(45) هو من أشهر مؤلفاته؛ وقد أصدر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف طبعة لهذا الكتاب. دراسة وتحقيق د/ أحمد بن أحمد شرشال.

(46) ذكر أبو القاسم سعد الله، بأنه يوجد مخطوط "الطراز" بالخزانة العامة بالرباط، وخطها جيد، وفيها المتن والشرح. وليس عليها اسم ناسخ ولا تاريخ. ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي.(120/1).و انظر كذلك: محمد التنسي، الدرّ والعقيان، تحقيق: محمود بوعياد، ص:(25–26). وذكر بأنه يوجد مخطوطان "للطراز" تملكها المكتبة الوطنية، ويحملان رقم: 390 ورقم: 391.

(47) أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي.(25/2).